مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: مآل موت الإله النيتشويفي الفلسفة الحديثة بالفكر الغربي المعاصر نموذجاً رولان بارت
اسم الكاتب: منال اسماعيل مرعي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2913
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 13:47 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مآل موت الإله النيتشويفي الفلسفة الحديثة بالفكر الغربي المعاصر نموذجاً رولان بارت

منال اسماعيل مرعي*

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الطروحات الفكرية الغربية المعاصرة التي تلقفت إعلان موت الإله النيتشوي لصالح ولادة الإنسان الأعلى في الفلسفة الألمانية الحديثة، ووظّفته بخطابها الفلسفي ولا سيما عند رولان بارت، إذ سيعرض هذا البحث المعاني المستنطقة من فكرة موت الإله عند نيتشه، ليُتاح تتبّع مآلاتها الفكرية لدى رولان بارت ولاسيما في نظريّته عن موت المؤلّف، لنتبيّن هل وُفّق بارت بما انتهى إليه من نظريةٍ تُعنى بموت المؤلف وإحياء وولادة القارئ؟ أم أن نظريّته محض خيالٍ لا يمكن تطبيقه واقعيّاً؟

* د. منال اسماعيل مرعي: أستاذ مساعد في قسم الفلسفة–كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق.

المدخل:

ليس من شكٍّ أن لفكر نيتشه في القرن التاسع عشر تداعياته وتوجّهاته التي أثّرت في صوغ نظريّاته وأفكاره، فما من تغيّرٍ يحصل في العالم إلّا وينعكس في الوعي البشري سواءٌ فاعل أم منفعل. وعلى اعتبار أنّنا لسنا في صدد العرض التاريخي لتلك التداعيات الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والعلمية والفلسفية، أو متابعة الرصد لما أدّت إليه في فكر نيتشه، ولاسيما في فكرته –موت الإله– التي سنتتبّع مآلاتها في نص رولان بارت، كما أن هدفنا ليس البحث في فلسفة نيتشه بذاتها باعتبارها الفلسفة التي شكّلت مطرقةً نقديّةً لكل الأسس التي شكلت القيم الفلسفية والدينية والأخلاقية؛ إذ وفق نيتشه"جميع ما سُمّي حتى الآن فلسفةً وديانةً وأخلاقاً لا يعدو كونه سمّاً ينفث في الحياة"[1]، بل مقصدنا السعي لتبيان معاني فكرة أصيلةٍ في فلسفته تعدمن أجرأ ما قدّمه نيتشه في خطابه الفلسفي النقدي الذي تناول كل شيءٍ، وهي فكرة موت الإله، ليس من جهة كونها فكرةً ملحدةً تدعو لعدم الإيمان، أو من جهة أنها فكرةٌ تروج لعدميةٍ تسود وتقتحم كل شيءٍ كما يتم التقديم لها في التأويلات السطحية المختلفة لفلسفته، والعاجزة عن اختراق المدلولات العميقة لها التي تتّبع المعاني المباشرة دون أدنى قدرةٍ على الحفر والاستنطاق في تلك النصوص، بل من جهة توضيح أنها الفكرة التي شكلت الأساس الخصب والأرضية الصلبة للفلسفات التي أتت بعدها، ولا سيما المعاصرة منها كفلسفة اللغة التي تلقّفت ذلك التي شكّل موضوع بحثنا واحداً من النماذج الممثلة لها؛ إنه بارت الذي قاد خطاب نيتشه لموضعته برؤيةٍ نقديّةٍ سنستوضحها في فكرته عن موت المؤلف وولادة القارئ.

---

[1] فنك، أويغن: فلسفة نيتشه، ترجمة: الياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974، ص 155.

1- المعاني الفكرية لموت الإله في النص النيتشوي:

إن إعلان موت الإله هو بمثابة البارقة التي أطلقها نيتشه لإعادة توجيه مسار الواقع الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والعلمي التعليمي المُعاش"، لكن المشكلة التي أعاقت المفكرين للانفتاح على تلك البارقة من قبلٍ كمنت في التأويلات التي أثقلتها الأحكام المسبقة التي شكلتّ قشرةً راكمت الكثير من التأويلات التي حالت دون الوصول إلى لب فلسفته بذاتها، هذه الفلسفة التي أرادت تقديم محاولةٍ جديدةٍ عنوانها الانفتاح على التفكير النقدي كأسلوبٍ جديدٍ قادرٍ على تحطيم ما هو تقليديٌّ وسائدٌ ويشكل الرأي العام.فوفق هذا المنهج على "كل من يريد أن يكون مبدعاً في الخير وفي الشر، عليه أن يكون أولاً مدّمراً، وأن يحطم القيم"[2]، لأن هذه القيم صرفت الإنسان عن إنسانيته وحريته التي من خلالها يكون قادراً على تقديم تقييمٍ جديدٍ يتناسب والرؤية الجديدة المنفتحة على الحياة، إذ لا وجود إلا لهذه الحياة الخلّاقة المبدعة التي تبعدنا عن كل أنماط التأطير والتفكير المبتذل والتابع للآخر.

إن إعلان موت الإله النيتشوي الذي سنتتبّع خطاه عند بارت لم يكن إلا جرس إنذارٍ قدّمه نيتشه بمطرقته النقدية لينبّه إلى ضرورة التيقظ من وهم الحقيقة الذي سطّرته اللغة واستعاراتها بالدين والأخلاق والفلسفة فقد "تاه العقل، وتاهت الفضيلة فخدعتها آلاف الأمور"[3]. بغية تحطيم كلّتلك الأصنام الميتافيزيقية العقلية الخاوية التي اخترعها الإنسان ووضع لها مسميّاتها التي لا تقبل النقد باعتبارها مقدسة" إذ إن الديانة المسيحية أنتجت عبر تاريخها الطويل قيماً حاقدة على الحياة .....عبر كره الجسد و احتقاره و نبذ الغرائز

[2]نيتشه، فريدرش: هذا هو الإنسان، ترجمه عن الألمانية: علي مصباح، الطبعة الأولى، منشورات الجمل للطباعة والنشر والتوزيع، برلين، 2008، ص 155.

[3]نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، 1938،شذرة الفضيلة الواهبة، ص103.

والشهوات والتبشير بوجود "عوالم أخرى" أفضل من العالم الأرضي"[4].هذه القيم هي التي وقفت كحجرٍ عاثرٍ بوجه التفكير النقدي للإنسان بما وضعته من ثنائياتٍ ومفاهيم مطلقةٍ كرسّتها بخطابها، والتي كان لا بد من تحطيمها بإعلانٍ صارخٍ بما نملكه من إرادةٍ قويةٍ قادرة، لا يقف في وجهها أياً كان من مسمياتٍ عناوينها التابويات المقدسة؛ ذلك أنه إعلان يكشف الأقنعة المتراكمة التي غلّفت حقائقنا وأبعدتنا عن ذواتنا بالمسميات المختلفة التي افترضتها.

أراد نيتشه لفت الانتباه إلى أنه لا حقيقة مطلقة، بل كل حقيقةٍ هي حمّالة أوجه وبالتالي فكل حقيقةٍ لا بد هي نسبيةٌ بمقاييسنا نحن البشر"اسمعوا أيها الموجدون إن قيمة الأشياء تتغير تبعاً لتحول اعتبار الموجد، ولا بد لهذا الموجد من أن يهدم في كل حين"[5]، وبذلك فانتصار الذات على قيودها الدينية والأخلاقية، الفلسفية منها والعلمية التي كُبلت بها بدعوى الميتافيزيقا هي عينه إعلان موت الإله الذي طرق به نيتشه عقولنا ليوقظنا من الأثقال التي أرهقت ذواتنا بحملها، وليقابل هذا الموت بولادةٍ جديدةٍ للإنسان القادر على التحطيم والتجاوز، وفي الوقت نفسه القادر على تقديم المختلف والمميز إنه باختصار الإنسان المبدع المتمتع بإرادةٍ قويّةٍ والقادر بحريته وبضميره الحي رغم كل ما يعترضه من صعوباتٍ على إنكار كل سلطةٍ مفروضةٍ عليه من قبل الآخرين إلا سلطة ذاته التي يعمل دوماً للرقي بها في هذه الحياة.

بعد تبيان معاني موت الإله التاريخي النيتشوي، دون الخوض بفلسفة نيتشه؛ لأنها كما ذكرنا خارج ما نوّد تقديمه في هذا البحث فإن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف سيكون مآل هذه الصرخة النيتشوية في النص البارتي؟ وما مصير موت الإنسان المؤلف

[4] عبد اللطيف، نبيل: فلسفة القيم نماذج نيتشوية، سلسلة المكتبة الفلسفية بإشراف: د. أحمد عبد الحليم عطية، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص 16.
[5] نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، شذرة: ألف هدف وهدف، ص 85.

في مقابل حياة القارئ البارتي؟ كيف نقارب بين موت المؤلف وحياة القارئ؟ وهل يمكن المقاربة بينهما بهذا الشكل أصلاً؟

2- الإطار التاريخي لظهور فكرة موت المؤلف:

إن كل فكرةٍ أو نظريةٍ تولد في أذهاننا هي بلا شكٍّ لا تولد معزولةً عن سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي الموجودة فيه، ما يعني أن نظرية بارت حول موت المؤلف شأنها شأن أي نظريةٍ أخرى، لم تظهر من عدمٍ ومن عزلةٍ فكريةٍ، فما السياق الظرفي الذي رافق تلك النظرية وكيف تم توظيف ذلك أدبياً في نصوص بارت؟

حقيقةً إن الإجابة على هذا السؤال ستعيدنا بهذ االسياق الاجتماعي التاريخي السياسي إلى الوراء قليلاً، أي إلى الآثار الفكرية التي خلفتها مظاهر ونتائج الحرب العالمية من موتٍ ويأسٍ وعزلةٍ واغترابٍ وتشيؤٍ وقلقٍ إنسانيّ، حيث كان الإنسان فيها هو الخاسر الرئيسي لكينونته، ما دعا إلى ضرورة وجود صرخةٍ إنسانيةٍ تعيد للإنسان ما افتقده في تلك الحرب، فجاءت الفلسفات الوجودية[6] التي سطعت آنذاك ملبّيةً لهذا النداء فأرادت إخراج الإنسان من بوتقة ما وقع فيه من قلقٍ واغترابٍ ليكون المحور الأساس للوجود شعورياً، لكن الاهتمام المبالغ به لتعويض ما خسره الإنسان جعلها تهمش كل شيء ما خلا الإنسان، ما عرّضها لانتقاد شديد عنوانه: إلغاء الآخر(العالم) بكل تشعباته وعلاقاته "كموضوع" في ذاته لصالح إحياء "الذات لذاتها" فقط.

لقد قدّمت الوجودية صورةً غير مكتملةٍ عندما عزلت الآخر، ولتحقيق النقص المعتري فيها كان لا بدّ من إعادة النظر في الإنسان، ولكن هذه المرة ليس باعتباره معزولاً عن عالمه، بل عبر رصد تجليات وجوده في واقعه الذي لا غنى عنه والذي يحقق فيه كل إمكاناته وإبداعاتها لإنسانية الخلاقة، فكانت البنيوية التي أرادت العودة إلى الذات التي لم تعد مبتورةً عن واقعها وموضوعها، بل الموجودة وعالمها ببوتقةٍ وبنيةٍ واحدةٍ يكون موقع

[6] ابراهيم، زكريا: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، 1968،ص 8.

الإنسان فيها ليس كذاتٍ مستقلةٍ بذاتها بل كذاتٍ تدخل في علاقةٍ متوترةٍ مع علائق أخرى دون مركزيةٍ لأحدها على الآخر، حيث المركزية لا تمنح للذات وحدها أو للموضوع مستقلاً ومنتزعاً عنها بل المركزية تُعطى فقط للبنية القادرة على الإحاطة بكلاهما في علاقة بحد ذاتها.

بذلك تشكلت إرهاصات الانزلاق مرةً ثانيةً لاغتراب إنسانيٍ جديدٍ[7]،تم فيه زحزحة قيمة الذات بكلّ ما تحمله من إمكانياتٍ عبر حرفها من المركزية الحيوية الخلاقة المبدعة إلى مجرد علاقةٍ ضمن سلسلة علائق في بنية، ليصار بذلك إلى إعلان موته بالبنيوية رسمياً بعد موت الإله النيتشوي، ليتلقّف بارت كل تلك الإرهاصات والتداعيات الفكرية موظّفاً إياها برؤيته التي سيقدمها عن موت المؤلف، فما الأسباب التي جعلته ينتقد المؤلف ويزيح مركزيته لصالح القارئ وهل يمكن أصلاً لأي نصٍ أن يوجد دون مؤلفه؟

3- رؤية بارت حول نصه عن موت المؤلف وولادة القارئ

أ- تأرجح بارت في إثبات نظريته:

يحاول بارت[8] في رؤيته الجديدة التي يقدمها عن موت المؤلف تقديم نقدٍ للسائد التقليدي بكل توجهاته كما فعل نيتشه من قبل، وخاصةً ضد المفاهيم التقليدية سيما منها الأدب الموروث والقدسية التي يتمتع بها النص من ناحية مؤلفه، باعتباره الأب الشرعي

[7] كريزويل، إديث: آفاق العصر-عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993، ص 9.

[8] رولان بارت: (1915-1980) فيلسوف وكاتب موسوعي، تنقل بين مذاهب فكرية متعددة كالماركسية والبنيوية وغيرها، أراد تقديم رؤية جديدة فحواها ابتكار قيمٍ ومناهج ومعايير جديدةٍ تزيح السابق التقليدي الرائج في كل المجالات من سياسة ورياضة وموضة وإعلام..إلخ، وخاصة أسطورة موت المؤلف بكل معانيها الظاهرة والمضمرة التي أراد تحطيمها والتي أعلن عنها رسمياً في إحدى مقالاته عام 1968.

* لا بد من القول في هذا المقام أن فكرة بارت عن موت المؤلف جاءت ضمن سياق من التداعيات الفكرية التي مهدت لظهورها من مثل موت النظم الرأسمالية في الماركسية وموت الأب في عقدة أوديب الفرويدية وكذلك موت الإله عند نيتشه، لكننا لن نبحث في كل الإرهاصات الممهدة لظهور هذه الفكرة عند بارت لأن ذلك سيخرجنا من دائرة بحثنا، ولكننا آثرنا تتبع مآل موت الإله النيتشوي في النص البارتي.

المُحصّن والمُمثل له لصالح البنية التي يرى فيها بارت بتصوره الأولي أنها تمثل تحقيقاً نصياً جامعاً لتعدد الرؤى[9] والأقطاب إذ يقول:" وأنا أحب النص، لأنه يمثل بالنسبة لي فضاءً نادراً من فضاءات اللغة"[10]، حيث في هذا النص الكلّ سواسيةٌ، ولا يبرز شيء على حساب آخر لا مؤلفاً ولا قارئاً ولا لغةً، بل الكل ضمن سياقٍ بنيويّ يمثّله هنا النص باعتباره جامعاً للذاكرة التناصية[11]، تلك الذاكرة القادرة على الجمع بين لحظات الزمن الثلاثة: الكتابة الماضية التي تنقلها ذاكرة المؤلف والمثقلة بالموروث المعرفي بسياقه الاجتماعي والفكري، والنص الجديد الحاضر المتمثل براهينيّة الوقائع، والتناص التأويلي الموكل لكلّ قارئٍ بحسب إمكاناته في المستقبل، حيث يندمج هذا الثالوث في صيرورةٍ مستمرةٍ منتجاً سلسلةً من التأويلات لا تنتهي إلا بانتهاء وتوقف الإنسان عن التأويل والتفسير، ليعود بارت برؤيةٍ ثانيةٍ، تغيّر الوجهة التي انطلق منها في رؤيته الأولىّ، مفادها أن اللغة بذاتها داخل النص هي من تتفتّح وتبدع لتكشف عن نفسها في النص" بما أن الكاتب ليس قادراً على تحوير المعطيات الموضوعية....فإنه ينقل طائعاً ما تقتضيه اللغة الحرة"[12]، وكأنه يزيح جانباً برؤيته هذه رؤيته المركزيه حول بنية النص المتعدد الأقطاب ليبقي على اللغة التي ستكون برأيه وسيلةً للمؤلف وأداة طيّعةً للتعبير عما يريد مواربته في النص، وكيفما يشاء، عبر ما جمعه من معرفةٍ تراكميّةٍ، ذلك أن المؤلف بفعل ذاكرته الموغلة لم يقم إلا بتسمية المُسمّى أصلاً ، لذا لا فضل له في جديدٍ ينسب إليه، بل الفضل كل الفضل لتلك البنية اللّغوية التي تحمل في طياتها دلالاتٍ وثقافاتٍ متنوعة وبذلك فإن بارت يدرك أن وجود المؤلف ليس إلا إنغلاقاً للنص والكتابة

[9]Foucault,Michel:Was ist ein Autor? In Jannidis,Fotis, Lauer,Gerhard,Martinez,Matias und Winko,Simone,(Hrsg): Texte zur Theorie der Autorschaft,Stuttgart,2007,,S. 198-200.

[10]بارت، رولان، لذة النص، ترجمة: منذر عياشي، دار لوسوي، باريس، الطبعة الأولى، 1992، ص 41

[11]حمداوي، جميل: موت المؤلف أم عودته؟، الطبعة الأولى،2017، ص 21.

[12]بارت، رولان: الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: محمد نديم خشفه، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 2002، ص 23

بآن "نعلم أنه لكي تسترد الكتابة مستقبلها، يجب قلب الأسطورة، فموت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القراءة"[13]، على اعتبار أن المؤلف هو الحامل والناقل للإيديولوجيّاتٍ الفكريّةٍ والثقافيّةٍ والتاريخيّةٍ، والتي لا ريب أنه مسقطها على نصه بوعيه أو بلا شعوره.

نلاحظ أن بارت يتأرجح في إثبات نظريته عن موت المؤلف؛ فهو يؤكد بالبداية دور البنية بالمطلق، ليعود ويقول بتعدد مستويات تأويل النص بين الماضي والحاضر والمستقبل، ليعّول فيما بعد على اللغة في النص، وهذا بالطبع إن دلّ على شيء فإنه يشير بالبنان للتبدل الحاصل في آرائه، ما يحيلنا لسؤالٍ يطرح نفسه: طالما أن النص التقليدي السائد لا يحقق شروط النجاح باعتباره ذاكرةً جمعيةً برأي بارت، فما المفاصل الناجعة التي تحدد النص النقدي الجيد؟؟

يقول بارت: ينبغي للنص أن يكون حقلاً منهجياً يظهر نفسه بحركته المستمرة التي تزيح كل شيءٍ بلا توقف برمزيتها التي تبدو وكأنها عبورٌ مفارقٌ دائمٌ في نسقٍ لا مركزيّ من التعددية الدلالية*تكون فيه الأنا التي تكتب أنا من ورق حيث كل نصّ يجب قراءته من غير تدوين اسم أبيه الشرعي وهو بلا شك مرتبطٌ باللذة[14]. هنا نلاحظ كيف أن بارت يريد إزاحة دور الإنسان بوصفه المؤلّف المبدع والخلاق تحت مسمى صيرورة النص المفارقة والحاملة في ثنايا هالوفرةٍ من النصوص المتداخلة التي يسقطها فكر المؤلف

[13]بارت، رولان: نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 1994، ص 25

[14]بارت، رولان: هسهسة اللغة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 1999، ص 87 وحتى 95 بتصرف.

*التعددية الدلالية كما نفهمها عند بارت نجدها على أكثر من مستوى كالدلالة الذاتية التي يقدمها المؤلف كما القارئ كل بدلالته وقراءته الخاصة، والدلالة الإيحائية حيث النص مفتوح لتعدد القراءات.

على النص الجديد، ما يحيلنا إلى إعلان صريح لموت المؤلف وموت الفكر التقليدي الذي تبناه ورّوج له وتبشير بولادة القارئ[15] بقوله:

" لقد مات المؤلف ..واختفى شخصه المدني، والانفعالي، والمكون للسيرة. كما أن مُلكيته قد انتهت..ولم يعد في مقدوره أن يمارس على عمله تلك الأبوة الرائعة التي أخذها على عاتقه كل من التاريخ الأدبي، والتعليم، والرأي العام"[16]. إنما يطرحه بارت –برأينا– من تهميش لدور المؤلف باعتباره ليس الممثل الهوياتي ولا المرجع الأنسي الأساسي للنص، لا يمكن قبوله لا شكلاً ولا مضموناً، إذ لا يمكننا أن نتعامل مع نص لا نعرف هويته، فضلاً عن أن العلاقة بين النص وصاحبه متلازمة فالنص نتاج تلك العلاقة ولا ينفصلان بنيوياً كما يريد بارت بهذا التعسّف إنه تكريس لقطيعةٍ متعمدةٍ تجعل من النص مجرد لقيطٍ لا يحمل أدنى مقوماته لصالح القارئ، وهذا مالا نستطيع قبوله لا أخلاقياً ولا إنسانياً.

ب- المعايير التي استشرفها بارت بالقارئ لصياغة نظريته:

يوضح بارت ذلك بالقول إنه القارئ القادر على إزاحة المؤلف والبقاء وحيداً بعلاقة خطيّة تبتر عنصر الثالوث الرئيس مع النص[17]: إنه القارئ الإنسي الّذي لا تاريخ ولا سيرة ذاتية ولا تكوين نفسي له[18]إنّه المبدع القادر على اللعب بالنص كتناصٍّ، حيث يبدو كطفل يلعب بالهدم والبناء ليتمكن من إعادة الفهم عبر التأويلات التي يسبغها على النص، إنه القارئ المنتج الذي يبدع في كلّ تأويل قراءةً ولذةً خاصّةً تجعله فاعلاً مشاركاً في النص، وهو القارئ الذي يمتلك رؤيةً نقديةً تخالف بوجهة نظرها ما يكتبه المؤلف ولا ينصاع لتبعية الموافقة الدائمة للمؤلف فيما يكتبه.

---

[15]Roland Barthes: Der Tod des Autors:Jannidis Fotis U.A Texte zur Theorie der Autorschaft.reclam.Stuttgart 2000,S. 193.

[16]بارت، رولان: لذة النص، مصدر سابق، ص 56،

[17]Roland Barthes: Der Tod des Autors,Vgl.S.185-188.

[18]بارت، رولان: درس السيمولوجيا، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1986، ص 87

تلك هي معايير القارئ المنتظر والمراد ولادته كما ولد الإنسان الأعلى النيتشوي من قبل، وإن كان من كلمة حقٍ تقال فلا بد من القول أن خطاب بارت هذا يدلل على جزئية هامة نتفق معه فيها وهي أن يكون القارئ ذا حسٍّ نقديٍّ، لكن ما نعتبره مبالغةً لا داعٍ لها هو قراره الحاسم بشأن بتر النص لصالح القارئ فقط كونه أكثر إبداعاً وأهميّةً من المؤلف الذي هو برأينا لا يقل أهمية عن القارئ، هذا المؤلف الذي أولته الرأسمالية الغربية أهمية قصوى[19] برأي بارت والذي يفتقد لروح لإبداع وللطاقة الخلاقة القائمة على روح النقد.

إن بارت برأينا المتواضع لم يستطع الإفلات من التّفكّر خارج صندوق المنظومة البنيويّة بسياقها العلائقي الذي لا يقف على عنصر بعينه لا داخل المنظومة ولا خارجها، فقد أنكر أولوية المؤلف ليعطي الأولوية والحصانة للقارئ، حيث قام بعملية استبدال لسلطة الذوات: منسلطة ذات المؤلف إلى سلطة ذات القارئ، وبهذا لم يعد بنيوياً إنما نقل الذات من المؤلف للقارئ.

إن السؤال الذي يطرح نفسه: أليست لغة الكاتب بعينها لغة قارئ النص؟ أم للمؤلف لغته التقليدية وللقارئ لغة مختلفة مشفرة؟ ثم إذا افترضنا جدلاً أن بارت قد منح للغةِ أحدهما مقومات على لغة الآخر فالسؤال المطروح كيف يمكننا أن نخرج اللغة سواء منطوقه أو مضمره أو مصرح بها من دائرة الإيديولوجيا وسلطتها؟ وهل نستطيع فعل ذلك حقاً؟؟ خاصةً أن بارت في خطابه يؤكد على"الاشتباك السياسي والتاريخي للغة الأدبية مع عصرها"[20].

البين –بالنسبة لنا– أن بارت ربما قد غفل أن الإنسان بكل تمثّلاته مؤلفاً أو قارئاً هو من اخترع اللغة وأوجد الكتابة، وكلاهما فاعل ومنفعل بيئته لإنتاج خطابه الفكري، فكيف به يعلن أن اللغة التي تميت المؤلف هي اللغة القادرة على إحياء القارئ؟

---

[19] بارت، رولان: درس السيمولوجيا، مصدر سابق، ص 82

[20] جوناثان كولر: رولان بارت –مقدمة قصيرة جداً، ترجمة سامح فرج، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2016،الطبعة الأولى، ص 29.

لقد مثل المؤلف بالنسبة لبارت كما ذكرنا الإنسان الحامل والناقل لكل الأقنعة الذاتية والإيديولوجية والاجتماعية والذي لا ريب هو مسقطها على النص، ونحن نتفق مع بارت حول ذلك، كون الإنسان فاعلاً ومنفعلاً–لا شك–، لكنما لا نتفق به معه هو أن ما يورده عن المؤلف وعن الأقنعة التي يتخفى بها نستطيع إسقاطه على القارئ الذي اعتبره دون سواه المبدع الخلاق، إلا إذا كان بارت يعتبر القارئ شخصية غير محايثه للواقع المعاش بقوله عنه وكما ذكرنا سابقاً إنه إنسانٌ لا تاريخ له، في حين أن المؤلف شخصية محايثة للواقع وهذا بالطبع غير ممكن منطقياً، لأن القارئ كما المؤلف كلاهما يؤول النص من خلال فقاعة الموروث الثقافي التي يمتلكها بذاكرته والتي يسقطها بقراءاته وتأويلاته على النص.

إن ما يذكره بارت عن النص بأنه بعيد عن الأصالة ويحمل تراكمات من الموروث والمنازع الثقافية المتعددة وبأن المؤلف يمنع حالة الانبثاق الدلالي بما يفتقر إليه من إبداع وتميز، يحيلنا للاستنتاج بأن خطاب بارت يقيم علاقةً غير متوازنة بين النص ومؤلفه، وهذا لا ينبغي أن يكون مُستغرباً من قبلنا؛لأن السيميائية التي ينتمي لها بارت والتي يسقطها هو أيضاً ككاتب على نصوصه، ليست إلا إنكاراً للمؤلف وعدم مبالاةٍ بالنّص. ثم ألا يحتوي النص الذي يكتبه بارت على تراكمٍ الموروث المعرفيّ؟ أم أن ذلك لا ينطبق على نصوصه؟ وكيف تمكن أصلاً من النقد والمقاربة بين كاتبٍ لا يقوم بفعل القراءة[21] وقارئٍ لا يقوم بفعل الكتابة في ظل صيرورة النص واستمراريته كما يدعي؟

نستطيع القول وفق قراءتنا إن بارت يتذبذب في حسم رؤيته حول من القادر على توضيح برهان معالم نظريته عن موت المؤلف سواء أكان النص أو القارئ أو اللغة، وكأنه يقول بشكل مضمر لا أستطيع الفصل بين القارئ واللغة والنص، إنها كل واحد، فكيف قام إذاً ببتر المؤلف عن سياقه؟

نتائج البحث:

[21]بارت، رولان:لذة النص، مصدر سابق،ص 35

حاول هذا البحث تسليط الضوء على مآل موت الإله النيتشوي على النص البارتي ونظريته عن موت المؤلف، وكيف سعى بارت كما نيتشه لخلخلة الموروث الثقافي التقليدي السائد كلّ بطريقته، ففي حين لم توفر مطرقة النقد النيتشوية أياً من مناحي الحياة تركز اهتمام بارت على نقد ما هو شائع بمجال العلوم الاجتماعية والإنسانية التي كانت تكنّ للمؤلف هالة من القدسية بوصفه مانح الحياة والروح للنص.

أراد بارت نصاً متنكراً لهويته وقيمته الرمزية، ببتره للنص عن مؤلفه متناسياً أن كلاهما وجهين لعملةٍ واحدةٍ، وبأنه ينطبق عليه وعلى مؤلفاته ما ذكره عن المؤلف في نظريته، وإذا تعمقنا وسحبنا نظريته على الكتب المقدسة فسنكون أمام فكرةٍ ليست ببريئةٍ، إنه موت للإله، لكن ليس بالمعنى النيتشوي كموت للمنظومة التاريخية الميتافيزيقية، بل بالمعنى الأكثر خطورة وهذا غير مقبول إطلاقاً.

إن مشروع بارت لم يكن مجرد نظريةٍ تشق مفاهيمها بإعلان النقد، بل تقويضٌ لمركزية الهوية التي تمثلها الذات بفاعليتها الخلّاقة، والتي حاول فصلها عن موضوعها كنوع من التنازع بين المؤلف ونصه المادي، حتى إنه هو ذاته لم يكن بمنأى عنه كمؤلف، بل حمّل المؤلف مالا يطاق من تورية والتفاف متجاهلاً أن اللّغة ليست إلا الحقل الإيديولوجي الأكثر اتّساعاً.

أحدث بارت قطيعةً بين الإنسان كاتباً وقارئاً، متجاهلاً أن كلاهما يحمل وينقل الإيديولوجيّات، في حين كان بإمكانه تحقيق نوع من العلاقة المتوازنة بينهما، كما أنه لم يستطع الخروج من النظرية التقليديّة التي أراد حسمها، فقدم النّظريّة التقليدية ذاتها بشكل جديد، وهذا يعني أن العقلية الميتافيزيقية التقليدية ظلت تحكم خطابه الفلسفي، ولم يستطع الخروج من عباءتها.

وأخيراً يمكننا القول: إن النظرية النقدية التي قدمها بارت بخطابه تمثل إشكاليّة معرفيّة؛ لأنه ثبت أنه لا يمكن تطبيقها على النصوص المقدسة ولا على النصوص

الإنسانية والأدبية، ولاسيما اليوم في ظل الحماية القانونية لحقوق المؤلفين الفكرية، ولاسيما أنّ المؤلف كان ولا يزال الضامن الرئيس لاتّساق وانسجام العمل الأدبي ولقيمته ووحدته الدلالية، وعليه فالقطع الإيبستمولوجي الذي أفتعله بارت غير مبرر؛ لأنه قام بالإقصاء والاستبدال وفق أسسٍ غير واقعيةٍ وغير منطقية.

المصادر العربية:

- نيتشه، فريدرش: هذا هو الإنسان، ترجمه عن الألمانية: علي مصباح، الطبعة الأولى، منشورات الجمل للطباعة والنشر والتوزيع، برلين، 2008.
- نيتشه، فريدرش: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، 1938.
- بارت، رولان: لذة النص، ترجمة منذر عياشي، دار لوسوي، باريس، 1992، الطبعة الأولى، 1992ص 41
- بارت، رولان: الكتابة في درجة الصفر،ترجمة محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 2002.
- بارت، رولان: نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 1994.
- بارت، رولان:هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى،1999
- بارت، رولان: درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء–المغرب، الطبعة الثانية،1986.

المراجع العربية

- عبد اللطيف، نبيل: فلسفة القيم نماذج نيتشوية، سلسلة المكتبة الفلسفية بإشراف: د. أحمد عبد الحليم عطية، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.

- فنك، أويغن: فلسفة نيتشه، ترجمة: الياس بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974،
- ابراهيم، زكريا: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، 1968.
- كريزويل، إديث: آفاق العصر-عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993
- حمداوي، جميل:موت المؤلف أم عودته؟، الطبعة الأولى،2017، ص 21.
- كولر،جوناثان: رولان بارت -مقدمة قصيرة جداً، ترجمة سامح فرج، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،الطبعة الأولى، 2016.

المصادر الأجنبية

1- Roland Barthes: Der Tod des Autors:Jannidis Fotis U.A Texte zur Theorie der Autorschaft.reclam.Stuttgart 2000.
2- Foucault,Michel:Was ist ein Autor? In Jannidis,Fotis, Lauer,Gerhard,Martinez,Matias und Winko,Simone,(Hrsg): Texte zur Theorie der Autorschaft,Stuttgart,2007.